نماذج من إسهام بعض أمهات المؤمنين

– رضي الله عنهن –

في مسيرة الدعوة في عهد النبوة

الدكتور/ جمال فرحات صاولي
أستاذ الحديث المساعد بكلية الآداب
جامعة الملك فيصل

نماذج من إسهام بعض أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - في مسيرة الدعوة في عهد النبوة

الدكتور/ جمال فرحات صاولي

أستاذ الحديث المساعد بكلية الآداب- جامعة الملك فيصل

مقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله...

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ـ٧١][1].

أما بعد: فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فإن السيرة النبوية هي الصورة الحية لتعاليم الإسلام، والترجمة العملية للقرآن الكريم، وهي التطبيق الأمثل لما ورد في الكتاب والسنة في واقع الحياة بمختلف

---

(1) تسمى هذه الخطبة خطبة الحاجة، وقد رواها أبو داود (٢/٥٩١ رقم ٢١١٨)، والترمذي (٣/٤٠٤ رقم ١١٠٦)، والنسائي (٦/٨٩)، وابن ماجه (١/٦٠٩ـ٦١٠)،وأحمد(١/٣٩٢ـ٣٩٣)، وغيرهم من حديث عبد الله بن مسعود، وعند بعضهم من الألفاظ ما ليس عند الآخر. قال الترمذي: «حديث عبد الله حديث حسن»، وسكت عنه الذهبي.

وصححه العلاّمة الألباني وجمع طرقه في رسالة لطيفة سمّاها «خطبة الحاجة».

جوانـبها، ويتمـثل ذلك في القدوة الحسنة لنبي الرحمة صلوات الله وسلامه عليه، وقد أغـنانا عن تفصيل ذلك وشرحه تلك الكلمة الفذّة الجامعة التي جرت على لسان أقرب الناس لرسول الله ﷺ وأعلمهم بحاله السيدة عائشة – رضي الله عنها – حين سُئلت عن خُلقه ﷺ فأجابت السائل بقولها: ((كان خلقه القرآن))[١].

وموقع المرأة من هذه السيرة العطرة موقع الركن من البيت، كيف لا وهي ألصق الناس بصاحب السيرة ﷺ، فهي الزوجة الملازمة له أكثر الأوقات، وبيتها أول مكان اهتـز لخبر النبوة، وفيه سُجلت اللحظات الأولى لتلقي الوحي، وبيتها أول مكان تُلي فـيه الوحـي بعد غار حراء، وهو أول بيت تعهد النبيّ ﷺ بالنصرة، فكانت المؤمنة الأولـى بوحي السماء، والباذلة الأولى في سبيل الدعوة الإسلامية من نفسها ومالها، والـزوجة المـصدقة المخلـصة لزوجها، إنها السيّدة الأولى في الإسلام خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، كما سيأتي بيانه من إسهاماتها العظيمة في نصرة هذا الدين.

ولا يـتوقف دور المرأة في مسيرتها الدعوية بمشاركة الرجال في نقل سيرته ﷺ وتبليغ سنته للأجيال القادمة، بل شاركن الرجال في صنع الكثير من الأحداث العظيمة التـي مهـدت لقـيام المجتمع الإسلامي، كمشاركتهن في البيعة,والهجرة إلى الحبشة وتقـديم الرأي والمشورة والدعم المادي والمعنوي، إضافة إلى تفردهن بنقل كثير من تفاصيل حياته الخاصة بكل دقة وأمانة.

وأزواج النبـيّ ﷺ قد حزن النصيب الأكبر والحظ الأوفر من بين نساء المسلمين فـي دعـم هذه الدعوة، وما هذا اللقب "أمهات المؤمنين" إلا تكريمٌ للرفعة والمنزلة، وتـتويجٌ للفـضل والعطاء، وتقديرٌ للدور العظيم لأمهات المؤمنين في مسيرة الدعوة الإسلامية، فهو وسامٌ استحقته زوجات الرسول الله ﷺ.

ومن هذا المنطلق كان هذا البحث لإبراز بعض الجوانب من إسهاماتهن من خلال بعض النماذج المنتقات من داووين السنة، مع التركيز على بعض الإسهامات المتعلقة بالجانـب الاجتماعـي ماديـا كان أو معنويا، لاسيما وأن دورهن قد تنوع في شتى

---

[١] رواه أحمد في مسنده (٦/٩١)، والطبراني في المعجم الأوسط (١/٣٠ رقم ٧٢).

مجـــالات الحياة الخاصة والعامة، وذلك من خلال انتقاء بعض أمهات المؤمنين ممن كـــان لها الدور المميز في هذا الشأن، وقد انتقيت أربعة منهن، إذ لا يمكنني في هذه الدراســـة المختـــصرة والمقـــيدة بصفحات محدودة أن أحيط بجميع جوانب إسهامات أمهـــات المؤمنين، وهدفي من هذه الدراسة إعطاء المرأة المسلمة المعاصرة نموذجا ونبراســـا؛ ليكون لها قدوة ومثالا يُحتذى به؛ لتستعين به في مسيرة دعوتها المعاصرة التي تكالب عليها الأعداء واخترطته السهام من كل حدب وصوب.

وقـــد قسمت بحثي إلى مقدمة وثلاث مباحث، بينت في المقدمة أهمية السيرة النبوية وموقـــع المـــرأة منها لا سيما أمهات المؤمنين، وفي المبحث الأول: تكلمت عن طبيعة الـــدور الدعـــوي للمرأة في الإسلام، بينت فيه المدلول اللغوي والاصطلاحي للدعوة، ودور المرأة في الدعوة وحكمه.

أما المبحث الثاني: فخصصته لبيان المراد بأمهات المؤمنين، وذكر مناقبهن بإيجاز، وفـــيه عرفت بمصطلح (أمهات المؤمنين)، وذكرت عددهن بالتفصيل، مع بيان مناقبهن بإجمال.

والمـــبحث الثالث: خصصته للحديث عن إسهام بعض أمهات المؤمنين في مسيرة الدعـــوة في عهد النبوة،مقتصرا على أربعة من أبرز أمهات المؤمنين، مراعيا في ذلك ترتيبهم حسب زواج النبي منهن ﷺ، وهن على الترتيب المشار إليه: خديجة وسودة وأم سلمة وعائشة رضي الله عنهن أجمعين.

وخـــتمت الـــبحث بخاتمـــة تناولت فيها أهم النتائج والتوصيات المستخلصة من هذه الدراسة الموجزة.

المبحث الأول: طبيعة الدور الدعوي للمرأة في الإسلام

أولا: تعريف الدعوة في اللغة والاصطلاح:

وردت كلمة (دعوة) في نصوص كثيرة من الكتاب والسنة، وردت (بلفظها) في كتاب الله في عدة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة: ١٨٦] وقوله تعالى: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ

لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ ﴾[الرعد: ١٤] وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الروم: ٢٥] وقوله تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [غافر: ٤٣].

ومن مشتقات كلمة (دعو) ما ورد في قوله تعالى:﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت: ٣٣] وقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل: ١٢٥].

ويرى الراغب الأصبهاني أن كلمة الدعوة مختصٌ بادعاء النسبة [(١)]، ولعل المعنى البارز لمشتقات هذه الكلمة في القرآن الكريم يدور حول النداء والطلب والحثّ والتحريض، كما سيأتي بيانه فيما يأتي[(٢)].

أ- التعريف اللغوي:

بمراجعة معاجم وقواميس اللغة نجد عدّة معاني لكلمة (دعا)، ومنها:

١- النداء: دعا يدعو دعاء، والدعاء كالنداء إلا أن النداء قد يُقال بــ (أيا) أو (يا)، ونحو ذلك من غير أن يضم إليه الاسم، أما الدعاء فلا يكاد يُقال إلا إذا كان معه الاسم نحو (يا فلان)، وقد يستعمل كل منهما في موضع الآخر كقوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءًۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾[البقرة: ١٧١][(٣)]

---

(١) المفردات في غريب القرآن الكريم، للراغب الأصبهاني (ص١٧٠).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (٤١٦/٢).

(٣) المفردات في غريب القرآن الكريم، للراغب الأصبهاني (ص١٧٠).

٢- الطلب: فيكون بمعنى الطلب إلى الطعام والدعوة إليه. فيقال: دعيت إلى وليمة فلان. [١]

٣- الرغبة إلى الله: والفعل (دعا)، والمصدر (الدعاء والدعوة)، والاسم (الدعوة والدعاوة). [٢]

٤- الاستغاثة: قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣] قال الفراء: " استَغِيثوا بهم، وهو كقولك للرجل: (إذا لَقِيتَ العدوّ خالياً فادْعُ المسلمين)، ومعناه: استغث بالمسلمين، فالدعاء هنا بمعنى الاستغاثة [٣].

٥- الحث على الشيء: دعاه إلى الشيء أي حثه عليه، ودعاه إلى الله أي حثه على عبادته، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[فصلت: ٣٣]، ورجل داعِيةٌ إذا كان يَدْعُو الناس إلى بِدْعة أَو دينٍ، والنبي ﷺ داعي الله تعالى، وكذلك المؤَذِّنُ [٤].

وبناء على ما سبق من تعدد المعاني اللغوية لكلمة (دعا) وما تصرف منها يمكن القول بأن لفظ الداعية يشمل من يدعو إلى هدى أو يدعو إلى ضلال، ويؤكد ذلك قوله ﷺ : " من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا "[٥].

---

[١] المصباح المنير، للفيومي (١/١٩٥).

[٢] انظر: القاموس المحيط (ص١٦٥٥).

[٣] لسان العرب، لابن منظور (١٤/٢٥٧).

[٤] انظر: لسان العرب، لابن منظور (١٤/٢٥٧)، والقاموس المحيط (ص١٦٥٥)، والمعجم الوسيط (١/٢٨٦).

[٥] رواه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة... (٤/٢٠٦٠ رقم ٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة.

ب- التعريف الاصطلاحي:

لا يوجد تعريف دقيق لمصطلح الدعوة، وإنما هي تعريفات متعددة، وأكثر التعاريف الموجودة إنما هي لكتاب ودعاة ومفكرين معاصرين ممن يُعنى بعلم الدعوة، ولعل أقدم تعريف وقفت عليه لعلماء بارزين من الأقدمين هو ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية حيث يقول: " الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا وَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ الدَّعْوَةَ إلَى الشَّهَادَتَيْنِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَصَوْمَ رَمَضَانَ وَحَجَّ الْبَيْتِ وَالدَّعْوَةَ إلَى الْإِيمَانِ بِاَللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ... ".[1]

أما التعاريف المعاصرة فسأذكر بعضا منها مقتصرا على تعاريف أبرز المفكرين والدعاة:

يرى محمد أحمد الراشد أن كلمة " الدعوة " مصطلح إسلامي له علاقة وثيقة بمدلول اللفظ في اللغة بحيث يحمل معنى الإمالة مع الترغيب.[2]

ويرى الشيخ عبد الله ناصح علوان " أن الدعوة إلى الله عز وجل هي الدعوة إلى الإسلام خالصًا متكاملا غير مشوب ولا مجزأ ".[3]

ويرى الأستاذ أحمد عطية – صاحب القاموس الإسلامي – بأن لفظ الدعوة مصطلح يطلق على الرسالة المحمدية، كما يطلق على الرسول ﷺ (داعي الله)، أي صاحب الدعوة إلى توحيد الله عز وجلّ، وبهذا الإطلاق يعتبر دين الإسلام هو دين الرسالة، أو دين الدعوة، أي أنه من الأديان التي تدعو الإنسانية إلى اعتناق المباديء التي ينادي بها، كما يعتبر الرسول ﷺ أول الدعاة إلى هذه المباديء.[4]

---

[1] مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٥/١٥٧).

[2] المنطلق، لأحمد محمد الراشد (ص٦٦).

[3] هذه الدعوة.. ما طبيعتها، لعبد الله ناصح علوان (ص٤).

[4] القاموس الإسلامي، لأحمد عطية الله (٢/٣٧٢).

أما الشيخ المفكر محمد الغزالي فيرى أن الدعوة: " برنامج كامل يضم في أطواره جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين ".(١)

وعلى هذا فإن الشيخ عرّف الدعوة تعريفا علميا خاصا بالدعاة المتخصصين ضمن برنامج مدروس، وهو بهذا يخرج عامة الناس ممن يدعون إلى الله حسب فهمهم وطاقتهم ومواقعهم.

ولعل من أحسن التعاريف التي وقفت عليها ما ذكره الشيخ محمد سيدي بن الحبيب حيث يعرف الدعوة بقوله: " قيام من له أهلية بدعوة الناس جميعا في كل زمان ومكان، لاقتفاء أثر رسول الله ﷺ والتأسي به قولا وعملا وسلوكا ".(٢)

ثانيا: طبيعة دور المرأة في الدعوة وحكمه:

فرض الله تعالى على المسلمين حمل أمانة هذا الدين وتبليغه للبشر جميعًا عن طريق الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله عزّ وجل: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وثبت في السنة أمر نبيه المصطفى ﷺ بتبليغ هذا الدين في قوله ﷺ : " بلغوا عني ولو آية... "(٣).

فهذه النصوص وغيرها تنص على وجوب القيام بالدعوة إلى الله تعالى، وإن كان هناك خلاف بين العلماء في نوعية هذا الوجوب: أهو عيني، أم كفائي؟ وهذا الخلاف

(١) مع الله (دراسات في الدعوة والدعاة)، لمحمد الغزالي (ص١٧).

(٢) الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم، لمحمد سيدي بن الحبيب (ص٢٧).

(٣) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٨/٩٥ رقم ٣٤٦١)، والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل (٥/٤٠ رقم ٢٦٦٩)، وأحمد في مسنده (٢/١٥٩، ٢٠٢) جميعهم من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ.

قديم بين العلماء، ولا يتسع المجال هنا لذكر آراء الفقهاء فيه، والذي يترجح لي أن الدعوة إلى دين الإسلام فرض عين على المسلمين كلٌّ حسب قدرته والموضع الذي هو فيه، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الدعاة المحتسبين والمتفرغين للدعوة لهذا الدين العظيم لهم المكانة الرفيعة والمرموقة؛ لأن الدعوة إلى الله تعالى من أشرف المراتب، وهي أولى وظائف الرسل جميعًا عليهم الصلاة والسلام.

وبعد هذا البيان المختصر في حكم القيام بالدعوة إلى الله، وأنه واجب على كل مسلم كلٌّ بقدر استطاعته، فهل هذا الحكم خاص بذكور المسلمين؟ أم هو عام للجنسين معاً؟.

أقول: إن النصوص الواردة في وجوب الدعوة إلى الله نصوص عامة ليس فيها تخصيص لجنس معين، و القاعدة في واجبات المرأة كالقاعدة في حقوقها، فهي كالرجل إلا فيما يختلفان فيه مما هو مناط التكليف، وأساس هذه القاعدة أنها إنسان ولها أهلية وجوب، أي: صلاحية اكتساب الحقوق وتحمل الواجبات. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: ١]، فالنساء كالرجال مطالبات بتقوى الله أي بطاعة أوامره واجتناب نواهيه) [(١)].

ويؤيد هذا ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: " النساء شقائق الرجال"[(٢)]، ويعلق الإمام الخطابي على هذا الحديث بقوله: (إن الخطاب إذا ورد بلفظ الذكور كان خطاباً للنساء إلا موضع الخصوص التي قامت أدلة التخصيص فيها) [(٣)].

---

(١) انظر: أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان (ص١١٧)، والمرأة الداعية لأحمد العطاوي (ص٤٣).

(٢) هذا جزء من حديث رواه أبو داود (١/١٦١ـــ١٦٢ رقم ٢٣٦)، والترمذي (١/١٨٩ـــ١٩٠ رقم ١١٣)، وأحمد (٦/٢٥٦)، وأبو يعلى (٨/١٤٩ رقم ٤٦٩٤)، والبيهقي في الكبرى (١/١٦٨) وغيرهم من حديث عائشة.
ورُوي من حديث أنس أيضاً، رواه الدارمي في مسنده (١/٢١٥).
قال العجلوني في كشف الخفاء (١/٢١٤ رقم ٦٤٩) «رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن عائشة، ورواه البزّار عن أنس، قال ابن القطّان: هو من طريق عائشة ضعيف، ومن طريق أنس صحيح».
وقد صحّح الشيخ الألباني هذا الجزء من الحديث كما في السلسلة الصحيحة(٦/٨٦٠ رقم ٢٨٦٣).

(٣) معالم السنن، للخطابي (٢/١٦٢).

وقد أقر الإسلام بعض الفروق الجوهرية بين الجنسين، يبين ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾[آل عمران: ٣٣]، وأكد العلم الحديث هذه الحقيقة، وهي وجود فوارق بين الرجال والنساء من النواحي الجسمية والعقلية والانفعالية، بل والعلمية [١]، لذا كانت وظيفة كلٍ منهما في الدعوة إلى الله تتناسب مع فطرته وخلقه، وعليه يمكن القول أن طبيعة الدعوة النسائية في شرع الله تتناسب كمًا وكيفًا مع طبيعة النساء؛ لأن الأصل في شريعة الله ألا يكلف كل إنسان أكثر من طاقته، مع الأخذ بعين الاعتبار أن لدعوة النساء مجالات خاصة بهن وتناسبهن لا يستطيع أن يحل محلهن الرجال.

وفي بحثي هذا أتناول بإذن الله تعالى بعضا من تلك الجوانب والمجالات الدعوية التي أسهمت وشاركت فيها المرأة في العهد النبوي الشريف، مقتصرا في الذكر على إسهامات بعض أمهات المؤمنين.

المبحث الثاني: بيان المراد بأمهات المؤمنين، وذكر مناقبهن بإيجاز

أولا: التعريف بأمهات المؤمنين:

حظيت زوجات النبي ﷺ بفضائل وخصائص انفردت بها عن سائر النساء، وذلك تكريماً لمن شاركن رسول الله ﷺ في سرّائه وضرّائه، وصبرن معه على حياة الكفاف والتقشف، مختاراتٍ لذلك على زخرف الدنيا وزينتها، وذلك لمّا نزلت آية التخيير، وهي قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾[الأحزاب: ٢٨ـــ٢٩]. فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة، لذلك خصهنّ الله بفضائل كثيرة، ومن أبرز تلك الخصائص تسميتهن بـ (أمهات المؤمنين).

---

[١] المرأة وحقوقها السياسية في الإسلام، للدكتور عبد المجيد الزنداني (ص٢٨).

وهذه التسمية لم ترد بلفظها في القرآن الكريم، وإنما وردت بلفظ (أزواجه أمهاتهم) قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ [الأحزاب: ٦].

ففي هذه الآية الكريمة بيانٌ لثبوت صفة الأمومة لزوجات النبي ﷺ للمؤمنين، وهذه الأمومة تنحصر في وجوب تعظيمهنَّ على المسلمين وبرهم لهنَّ وإجلالهنَّ وحرمة النكاح على الرجال، أما فيما عدا ذلك فلا يصحُّ أن يخلى بهن، أو النظر إليهن، أو إرثهن، فهن يختلفن عن الأمهات بذلك، ولقد سُمِّين بأمهات المؤمنين؛ لأن شفقتهنَّ عليهم كشفقة أمهاتهم تماماً فأُنزِلْنَ منزلتهنَّ.[١]

وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾: شرَّف الله تعالى أزواج نبيه ﷺ بأن جعلهنَّ أمهات المؤمنين، أي: في وجوب التعظيم والمبرة والإجلال وحرمة النكاح على الرجال وحجبهن رضي الله تعالى عنهن بخلاف الأمهات، ثم هذه الأمومة لا توجب ميراثاً كأمومة التبني، وجاز تزويج بناتهن ولا يجعلهن أخوات للناس[٢].

وهذا خاصٌّ بأمهات المؤمنين اللاتي مات عنهنَّ ﷺ أو ماتت عنه وهي تحته، قال الزرقاني في شرحه للمواهب: «أي: أزواجه عليه الصلاة والسلام أمهات المؤمنين سواء من مات عنها أو ماتت عنه وهي تحته، إشارة لمحل الاتفاق، إذ من فارقها أو استعاذت منه لا تحرم إن لم يدخل، فإن دخل فقولان»[٣].

وأما في السنة النبوية فقد ورد في بعض الآثار استخدام مصطلح (أمهات المؤمنين) بلفظه، منها ما رواه عبد الله بن أبي موسى، قال: أرسلني مُدرك – أو ابن مدرك – إلى عائشة أسألها عن بعض الأشياء...، وفيه: " فقلت لآتنها: كَيْفَ أَسْتَأْذِنُ عَلَيْهَا، فَقَالَ: قُلْ

---

(١) أمهات المؤمنين في السنة النبوية، للدكتور محمد سليمان الربيش (ص٢٢).

(٢) تفسير القرطبي (١٤/١٢٣).

(٣) شرح المواهب، للزرقاني (٣/٢٠٨).

السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ ﷺ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، السَّلَامُ عَلَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ ".[١]

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لأبي موسى: (فإنما أنا أمُّكَ)[٢]، وسمَّاها الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وكنّوها بأم المؤمنين، فقال لها ابن عباس: يا أم المؤمنين[٣]. وقال لها أبو سلمة: أي أُمَّهْ[٤]، وناداها عروة بذلك فقال: يا أُمَّاه يا أمَّ المؤمنين[٥]، وهناك آثار أخرى فيها الخطاب لهن بهذا الوصف.

وقد اختلف العلماء في كون أمهات المؤمنين أمهات للرجال والنساء أم الرجال فقط؟ اختُلِفَ في ذلك على قولين، قال القرطبي بعد أن ذكر القولين: «قلتُ: لا فائدة في اختصاص الحصر في الإباحة للرجال دون النساء، والذي يظهر لي أنهنَّ أمهات الرجال والنساء تعظيماً لحقِّهنَّ على الرجال والنساء يدلُّ عليه صدر الآية ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ وهذا يشمل الرجال والنساء ضرورةً، ويدل على ذلك حديث أبي هريرة وجابر، فيكون قوله: ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ عائداً على الجميع، ثم إن في مصحف أبي بن كعب: (وأزواجه أمهاتهم وهو أبٌ لهم) وقرأ ابن عباس: (من أنفسهم وهو أبٌ لهم وأزواجه أمهاتهم)، وهذا كلُّه يوهن ما رواه مسروق ــ إن صحَّ ــ من جهة الترجيح، وإن لم يصح فيسقط الاستدلال في التخصيص، وبقينا على الأصل الذي هو العموم الذي يسبق إلى الفهوم والله أعلم»[٦].

وقال ابن حجر: «أم المؤمنين» هو مأخوذٌ من قوله تعالى: ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾، أي: في الاحترام وتحريم نكاحهنَّ، لا في غير ذلك مما اختلف فيه على الراجح، وإنما قيل

---

(١) رواه أحمد في المسند مطولا (١٢٥/٦-١٢٦)،وصححه الشيخ شعيب في تحقيقه للمسند(٤٢١/٤١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٢/١ رقم ٣٤٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٠٦/٧ رقم ٣٧٧١).

(٤) أخرجه مسلم (٥١٠/١ رقم ٧٣٨).

(٥) أخرجه البخاري (٥٩٩/٣ رقم ١٧٧٥)، ومسلم (٩١٦/٣ـ٩١٧ رقم ١٢٥٥).

(٦) تفسير القرطبي ١٢٣/٤.

للواحدة منهن أم المؤمنين للتغليب، وإلاَّ فلا مانع أن يقال لها أم المؤمنات على الراجح[١].

والذي يظهر لي أن ترجيح القرطبي وابن حجر – وغيرهما من العلماء – من أن أمومتهن عامة للرجال والنساء هو المتوجه لعموم النصوص الواردة في هذا الشأن، والأدلة المخصصة لذلك لا تنهض لدفع عموم النصوص الواردة، كما أشار إلى ذلك القرطبي.

ثانيا: بيان عدد أمهات المؤمنين:

لقد شرَّف المولى عزَّ وجل نبيه ﷺ وخصَّه بأشياء كثيرة لم تحِلَّ لغيره، ومن ذلك عدم تقييده بعددٍ محدود من الزوجات، فلقد أحلَّ له ﷺ أن يتزوج عدداً من النساء وأن يجمع تحته ما يزيد على الأربع في وقت واحد، وذلك لمزيد فضله، وعلوِّ شأنه على سائر الأمة. [٢]

ومن المعلوم أن الرسول ﷺ توفي عن تسعٍ من النساء، إلا أنه كان له أزواج غيرهن، منهنَّ من دخل بها، ومنهن من عقد عليها ولم يدخل بها، ومنهن من خطبها ولم يتم نكاحه معها، وسأقتصر هنا على ذِكر زوجات الرسول ﷺ اللاتي دخل بهنَّ.

والمتفق عليه بين العلماء أن زوجاته ﷺ المدخول بهن (أمهات المؤمنين) إحدى عشرة امرأة[٣]، واختلفوا فيما زاد على ذلك على أقوال لا يتسع بحثنا هذا لتفصيلها [٤]، ولذا سأقتصر على ذكر المتفق عليه، وهنَّ: ست من قريش:

١) خديجة بنت خويلد.

٢) عائشة بنت أبي بكر الصديق.

٣) حفصة بنت عمر بن الخطاب.

٤) أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان.

---

(١) فتح الباري، لابن حجر (١/٤٧).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (١١/٣٣١).

(٣) شرح المواهب، للزرقاني (٣/٢٥٩).

(٤) ذكر هذا الخلاف ابن حجر وبين الراجح من الأقوال في فتح الباري (١/٦٤١-٦٤٢).

٥) أم سلمة بنت أبي أمية.

٦) سودة بنت زمعة.

وأربع عربيات وهنَّ:

١) زينب بنت جحش.

٢) ميمونة بنت الحارث.

٣) زينب بنت خزيمة.

٤) جويرية بنت الحارث.

وواحدة غير عربية من بني إسرائيل وهي: صفية بنت حييّ.

فيكون مجموع (أمهات المؤمنين) إحدى عشرة امرأة، توفي في حياته ﷺ منهن اثنتان، وهما: خديجة بنت خويلد، وزينب بنت خزيمة، ويكون مجموع من بقي منهن بعد وفاته ﷺ تسع نسوة كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء.[١]

ولم يختلف العلماء في أن أول زواجه ﷺ كان من السيدة خديجة رضي الله عنها، وذكر ابن حجر ترتيب زواج النبي ﷺ من أمهات المؤمنين فقال: " أنه ﷺ لما قدم المدينة لم يكن تحته امرأة سوى سودة، ثم دخل على عائشة بالمدينة، ثم تزوج أم سلمة وحفصة وزينب بنت خزيمة في السنة الثالثة والرابعة، ثم تزوج زينب بنت جحش في الخامسة، ثم جويرية في السادسة، ثم صفية وأم حبيبة وميمونة في السابعة، وهؤلاء جميع من دخل بهن من الزوجات بعد الهجرة على المشهور، واختلف في - ريحانة وكانت من سبي بني قريظة - فجزم بن إسحاق بأنه عرض عليها أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فاختارت البقاء في ملكه، والأكثر على أنها ماتت قبله في سنة عشر، وكذا ماتت زينب بنت خزيمة بعد دخولها عليه بقليل، فعلى هذا لم يجتمع عنده من الزوجات أكثر من تسع ".[٢]

---

(١) انظر: المعارف، لابن قتيبة (ص١٣٩)، وشرح المواهب، للزرقاني (٣/٢٥٩ـ٢٦١)، والسمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، للمحب الطبري (ص٤ـ٥)، والسيرة الحلبية (٣/٤١٨)، وفتح الباري، لابن حجر (١/٦٤١).

(٢) فتح الباري (١/٦٤١-٦٤٢).

ثالثا: مناقب أمهات المؤمنين على وجه الإجمال:

لقد حظيت أمهات المؤمنين بفضائل وخصائص انفردت بها عن سائر النساء، وفضائلهن كثيرة ومتعددة وهي أكبر من أن يستوعبها هذا البحث الصغير؛ لكثرة النصوص الواردة في ذلك من الكتاب والسنة، لذا سأوجز الكلام على ذلك بذكر بعض فضائلهن في النقاط التالية: (١)

١ــ تزكية الله لهن:

قال تعالى:﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [النور: ٢٦].

تُقرر هذه الآية الكريمة مبدأً مُهماً من مبادىء الحياة الاجتماعية في الإسلام وهو: أن النفوس الخبيثة لا تلتئم إلا مع مثلها من النفوس الخبيثة، والنفوس الطيبة لا تأتلف وتستأنس إلا لمثلها من النفوس الطيبة؛ ولكون الرسول ﷺ أطيب الطيبين يتبين بناءً على ما تقدم أن نساءه أطيب الطيبات.

وهذا فضلٌ عظيمٌ لأمهات المؤمنين حتى وصفهنّ الله عزّ وجلّ بالطيبات وأثنى عليهن بذلك، قال الآلوسي: «وحيث كان رسول الله ﷺ أطيب الطيبين وخيرة الأولين والآخرين تبين كون الصديقة رضي الله عنها من أطيب الطيبات بالضرورة»(٢).

وينسحب هذا الحكم على باقي أمهات المؤمنين. وفي قوله تعالى: ﴿أولئك مبرؤون مما يقولون... ﴾ الآية، تبرئة لأهل البيت النبوي رجالاً ونساءً، ويدخل في ذلك أمهات المؤمنين، وفيه رد بين وفضح صارخ على الرافضة الذين يطعنون في السيدة عائشة رضي الله عنها، مخالفين بذلك كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وإجماع المسلمين على مختلف طوائفهم، والأعجب من هذا ادعاؤهم حبّ أهل البيت كذبا وبهتانا وزورا.

---

(١) أفدت في هذا المبحث من كتاب أمهات المؤمنين في السنة، للدكتور محمد سلميان الربيش (٢١-٥٧).

(٢) تفسير الآلوسي ١٨/١٣١.

٢ـ أمومتهن للمؤمنين:

قال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴾ [الأحزاب: ٦].

وقد سبق الكلام عن هذه الفضيلة تفصيلا عند بيان المراد بـ (أمهات المؤمنين).

٣ـ تفضيلهن على النساء:

قال تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

٤ـ إكرامهن ومكافأتهن:

قال تعالى: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٥٢].

٥ـ اختيارهنَّ اللهَ ورسولَه والدارَ الآخرة:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٨ـ٢٩].

٦ـ مضاعفة الثواب والعقاب لهن:

قال تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٠ـ٣١].

٧ـ تعظيمهن وحرمة نكاحهن بعد الرسول ﷺ:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ

حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

٨ــ قرارهنَّ في بيوتهنَّ ونشرهن العلم:

قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣ــ٣٤].

وقد ورد في السنة بعض الآثار عن الصحابة تدل على بعض فضل أمهات المؤمنين، ومن ذلك ما رواه عكرمة قال: قيل لابن عباس ﷺ بعد صلاة الصبح: ماتت فلانة[١] لبعض أزواج النبي ﷺ فسجد، فقيل له: أتسجد هذه الساعة؟! فقال: أليس قد قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم آيةً فاسجدوا» فأيُّ آيةٍ أعظمُ من ذهاب أزواج النبي ﷺ[٢].

فاعتبر ابن عباس ﷺ – وهو فقيه الصحابة – موتها آيةً مخوفة. قال الطيبي في شرح قوله ﷺ : «إذا رأيتم آية»: " المراد بها العلامات المنذرة بنزول البلايا والمحن التي يُخوِّف الله بها عباده، ووفاة أزواج النبي ﷺ من تلك الآيات، لأنهنَّ ضمَمْنَ إلى شرف الزوجية شرف الصحبة[٣].

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول : « إن أمركنّ لممّا يُهمّني بعدي، ولن يصبر عليكن بعدي إلا الصابر. قال: ثم تقول : فسقى الله أباك – تريد عبد الرحمن بن عوف – من سلسبيل الجنّة. وكان قد وصل أزواج النبي ﷺ بمال بيع بأربعين ألفاً[٤].

---

(١) قيل: هي حفصة، وقيل: صفية، انظر: تحفة الأحوذي (٣٦٦/٤)، وعون المعبود (/٤٦٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٧٠٦/١ رقم ١١٩٧)، والترمذي (٧٠٧/٥ــ٧٠٨ رقم ٣٨٩١) وقال: حديث حسن غريب. وحسنه العلامة الألباني في صحيح أبي داود (برقم ١١٩٧).

(٣) تحفة الأحوذي (٣٦٦/٤)، وعون المعبود (/٤٦٤).

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه (٤٥٦/١٥ رقم ٦٩٩٥).

وعن أبي سلمة قال: قالت عائشة: إنَّ رسول الله أحنى عليَّ، فقال: «إنكنَّ لأهمُّ ما أتركُ إليّ وراء ظهري، واللهِ لا يعطف عليكنَّ إلا الصابرون أو الصادقون»[1].

فهذه منقبة أخرى تضاف لمناقبهن، وفيها بيان واضح من النبي ﷺ بأنه لا يهتم بأمرهن إلا الصابرونِ الصالحون؛ ولذا كان الصحابة رضي الله عنهم يهتمون بشأنهن بعده ﷺ ويعتنون بهنَّ، فمن ذلك فَرْض عمر ابن الخطاب لهنَّ العطاء من بيت المال، وإذنه لهنَّ بالحج، وكذلك فعل عثمان رضي الله عنهم أجمعين.

المبحث الثالث: إسهام بعض أمهات المؤمنين في مسيرة الدعوة في عهد النبوة

عندما نتحدث عن الدور الدعوي المتنوع والمتعدد لأمهات المؤمنين من خلال إسهاماتهن في مسيرة الدعوة لابد من الإشارة إلى أن الدعوة إلى الله لها منهجها وأسلوبها الذي يتناسب وينسجم مع كل مرحلة من مراحلها المتعددة، والمرأة المسلمة عامة وأمهات المؤمنين خاصة قمن بهذا الدور المنوط بهن على أكمل وجه في مرحلة الدعوة الإسلامية في الفترة المكية والتي امتدت إلى ثلاث عشرة سنة، ولقد كانت أهم سمات هذه المرحلة تتمثل في دعوة الناس إلى الإسلام دين التوحيد الخالص ونبذ الشرك وترك عبادة ما سوى الله، وإثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ ، والإيمان بالبعث والجزاء والقيامة وأهوالها والنار وعذابها والجنة ونعيمها [2].

وكل دعوة في هذا الوجود لا بدّ لها من دعم تقوم عليه وتقوى به، ويمكن القول بأن الدعم للدعوات ركن من أركانها، كرجالها وكل عوامل وجودها، وهذا الدعم متنوع ومتعدد الجوانب، منه ما هو مادي ومنه ما هو معنوي يقوم على التثبيت والمؤازرة وتقديم الرأي والمشورة، ومنه ما هو تعليمي يقوم على نشر تعاليم ومباديء الدين الجديد ليكون متاحا لجميع الناس، فهو دين البشرية جمعاء.

وسأركز في بحثي هذا على ذكر نماذج من إسهامات بعض أمهات المؤمنين ضمن هذا الإطار – عدا الجانب التعليمي فإنه يحتاج لدراسة مستقلة؛ ولذا أغفلته في بحثي

---

(1) رواه بهذا اللفظ الإمام أحمد في مسنده (٦/١٢٠ـ١٢١).

(2) انظر: مناهج الدعوة وأساليبها، لعلي جريشة (ص١٥)، ومباحث في علوم القرآن، لمناع القطان (ص٦٣).

هذا –، مع اختيار بعضهن كنموذج لهذه الدراسة، ممن كان لها الأثر البارز والمميز في دعم مسيرة الدعوة في هذه الفترة – وقد انتقيت أربعة منهن –؛ لأن إسهامات أمهات المؤمنين أكبر من أن تحيط بها أو تستوعبها هذه الدراسة المختصرة، ويكفي الإشارة إلى تصفح فهارس الجامعات لنجد ذلك الكم الهائل من الدراسات العلمية، والبحوث المحكمة فيما يتعلق بأمهات المؤمنين، فضلا عن كتابة السلف الصالح في هذا الباب.

وبناء على ما سبق تحديده أتناول ما يلي:

أولا: إسهامات أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها:

إن المواقف التي ساهمت بها أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها في دعم المسيرة الدعوية والتي يمكن أن نستلهمها من حياتها العامرة بالعطاء تحتاج إلى دراسة خاصة؛ لكثرتها وتنوعها؛ ولذا سأركز على ما لم يتسنى لغيرها من أمهات المؤمنين من انفرادها باحتضان الدعوة وصاحبها عليه الصلاة والسلام في المرحلة المكية، واحتمالها لجانب عظيم من أعباء الدعوة في هذه المرحلة، وهي ما تزال ضعيفة مرفوضة، حيث وضعت كل ثروتها ومالها تحت تصرف زوجها رسول الله ﷺ، وصبرت على المقاطعة والفقر وهي سليلة الغنى والثراء، وكان لها فوق هذه الأدوار جميعًا موقف المواسي والمشجع والمثبت لرسول الله ﷺ، بينما بقية أمهات المؤمنين قد تزوج بهنَّ رسول الله ﷺ بعد الهجرة والدعوة قوية مستقرة، تحوطها سواعد المهاجرين والأنصار، وغيرهم ممن آمن وآزر ونصر.

وقبل البدء في بيان إسهامات أم المؤمنين خديجة أذكر ترجمتها بإيجاز فأقول:

هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصي بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشية الأسدية(١)، وُلدت رضي الله عنها قبل الفيل بخمس عشرة سنة، وهي من أوسط قريش نسباً، وأعظمهم شرفاً، وأكثرهم مالاً، وكانت تُدعى في الجاهلية بالطاهرة؛ لتركها ما كانت تفعله نساء الجاهلية(٢).

---

(١) طبقات ابن سعد (١٤/٨) والإصابة (٢٨١/٤).

(٢) طبقات ابن سعد (١٧/٨)، وسيرة ابن هشام (٢٠٥/١).

وكنيتها أم هند، كُنيت بولدها هند بن أبي هالة[١]، وتزوَّجها النبيُّ ﷺ قبل البعثة بخمس عشرة سنة، وقيل: أكثر من ذلك[٢]، واختُلفَ في سنِّ النبي ﷺ عند زواجه منها، وأكثر العلماء على أن سِنَّه ﷺ حين تزوجها كان خمساً وعشرين سنة، وكان سِنُّها عند زواجها من النبي ﷺ أربعين سنة[٣].

وكانت رضي الله عنها أول امرأة تزوجها، ولم يتزوَّج غيرَها قبلها ولا عليها حتى ماتت من غير خلاف[٤]، وأقامت معه ﷺ خمساً وعشرين سنة على الصحيح، ثم توفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات في قول الأكثرين[٥].

وبعد هذه الترجمة الموجزة يمكن أن نلخص بعض إسهامات السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها في النقاط الآتية:

أولا- كان لخديجة جهدٌ بارزٌ في مرحلة ما قبل الوحي، فهي تُعِدُّ الزاد لرسول الله ﷺ، وتنفق عليه من مالها، ولا تتذمر من غياب زوجها الليالي ذوات العدد، ولا تجزع لخلوته، وهي بذلك تسهم في مرحلة تهيئة الرسول ﷺ لتلقِّي الوحي؛ لإنها كانت تتوقع نبوته ﷺ، فقد ذكر الفاكهي في أخبار مكة أن خديجة رضي الله عنها قالت له: ولكني أرجو أن تكون أنت النبي الذي سيبعث. [٦]

ويدل على ما سبق ما رواه الشيخان من حديث أم المؤمنين عائشة أنها قالت: أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ.

---

(١) طبقات ابن سعد (٨/١٥).

(٢) طبقات ابن سعد (٨/١٧).

(٣) طبقات ابن سعد (٨/١٧)، والأربعين في مناقب أمهات المؤمنين (ص٣٩)، وسبل الهدى والرشاد، للصالحي (٢/٢٣٥).

(٤) شرح المواهب (٣/٢٧٠)، وعمدة القارئ، للعيني (١/٦٣).

(٥) فتح الباري (٧/١٣٤).

(٦) أخبار مكة، للفاكهي (٥/٢٠٦).

قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطَّني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطَّني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطَّني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: «زمّلوني زمّلوني»، فزمّلوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيتُ على نفسي».[١]

ثانيا – تثبيتها لرسول الله ﷺ، وإدخال الطمأنينة على نفسه، كما تبينه تتمة الحديث السابق، حيث قالت خديجة: كلا واللهِ ما يُخزيك الله أبداً، إنَّكَ لتصِلُ الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتُكسب المعدوم، وتُقري الضيف، وتَعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقةَ بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى – ابن عم خديجة – وكان امرءاً تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل على موسى، يا ليتني فيها جَذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومُك، فقال رسول الله ﷺ: «أوَ مُخرِجيَّ هم؟» قال: نعم، لم يأتِ رجلٌ قطُّ بمثل ما جئت به إلا عُودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزَّراً. ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي[٢].

وقولها: «كلا والله ما يُخزيك الله أبداً... » فيه من التثبيت والمؤازرة ما يشدّ عضد رسول الله ﷺ، ولا يخفى ما فيه من الأثر البين في إنجاح الدعوة واستمرارها.

قال ابن حجر: " استدلّت على ما أقسمت عليه من نفي ذلك أبداً بأمرٍ استقرائي وصفته بأصول مكارم الأخلاق؛ لأن الإحسان إمَّا إلى الأقارب أو إلى الأجانب، وإمَّا

---

(١) أخرجه البخاري (١/٥٣ رقم ٣)، ومسلم (١/١٣٩-١٤٣ رقم ١٦٠) مطولا.

(٢) تقدم تخريجه في الهامش قبل هذا.

بالبدن أو بالمال، وإمَّا على من يستقلُّ بأمره أو لا يستقلُّ، وذلك كله مجموع فيما وصفته به ".(١)

ثالثا – لعل من أعظم المواقف التي سجلها التاريخ لخديجة رضي الله عنها وقفتها إلى جانب زوجها يوم فُرض عليه وعلى آله حصارٌ اجتماعيٌّ واقتصاديٌّ ظالم، هلك فيه العباد من الجوع والعطش، وكانت آنذاك قد جاوزت الستين من عمرها ولم يمنعها كِبَرُ سِنِّها ورِقَّةُ عظمها من الخروج مع الرسول ﷺ إلى شعب أبي طالب، لتذوق معه ﷺ ومن معه من أهله أهوال الحصار، ومرارة الحرمان، وهي سليلة الغنى والثراء، وبقيت معه مدة الحصار تنفق مالها في سبيل الله، وتشدُّ أزره، وتُهوِّن عليه، حتى أنها توفيت بعد العودة من حصار الشعب بأيام قليلة(٢).

وهناك صور أخرى لهذا التثبيت نذكر منها:

١ـ إيمانها بالله ورسوله: فقد كانت أول من آمن، لم يسبقها إلى ذلك أحد، وهي منقبة عظيمة انفردت بها دون سائر أمهات المؤمنين، وكان إيمانُها صادراً عن رجاحة عقل ووفور فقه، فقد أجالت بصرها، وأعملت ذهنها فيما قصَّه عليها رسول الله ﷺ من خبر الوحي، ثم أجابت فأجادت وأفادت، استمع إليها وقد اجتمع لها من اليقين ما جعلها تقسم على قولها: «كلا والله ما يُخزيك الله أبداً، إنك لَتصِلُ الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتُكسب المعدوم، وتُقري الضيف، وتُعين على نوائب الحق».(٣)

وكان لهذا الإيمان برسول الله ﷺ وبما جاء به من الله تعالى الأثر البين في التخفيف عنه ﷺ وتهوين الأمر عليه، وفي ذلك يقول ابن إسحاق: " كانت أول من آمن بالله ورسوله، وصدَّق بما جاء به، فخفَّف الله بذلك عن نبيِّه ﷺ، لا يسمع شيئاً مما يكرهه من ردٍّ عليه وتكذيبٍ له، فيُحزنه ذلك، إلاَّ فرَّج الله عنه بها إذا رجع إليها، تُثبِّته وتُخفف عنه، وتُصدِّقه وتُهوِّن عليه أمر الناس، رحمها الله تعالى ".(٤)

---

(١) فتح الباري (٥٣/١).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٢٦/٢-٢٩).

(٣) أمهات المؤمنين في السنة النبوية، د. محمد سليمان الربيش (ص١٧٢-١٧٣).

(٤) سيرة ابن هشام (٢٥٩/١).

٢ـ ذهابها مع رسول ﷺ إلى ورقة بن نوفل لتستوضحه هذا الأمر الجليل، حتى يطمئنَّ قلب رسول الله ﷺ، وتهدأ نفسه، ويسكن روعه، فرجع عليه الصلاة والسلام مطمئن البال، وقد زال عنه ما كان يجده من الروع، وكان لهذا أثرا في تهيئته لحمل هذا الرسالة الخالدة.

رابعاً – محافظتها على سرية الدعوة وكتمانها لأمر الإيمان والصلاة، ومن المعلوم أن الدعوة قد احتاجت إلى السرِّية التامة في مراحلها الأولى، قبل أن يؤمر الرسول ﷺ بالجهر بها وإبلاغها للناس كافة، وقد كانت خديجة رضي الله عنها أمينةً في كتمان أمر الدعوة الجديدة، فلم تُفشِ سرَّ رسول الله ﷺ ولم تتحدث به، وفيه أثر بين في الحفاظ على الدعوة في مهدها، حتى لا تُضرب وتفشل في بداية تأسيسها.

ومما سبق ندرك ونفهم وفاء النبي ﷺ لخديجة بعد موتها، حيث كان يكثر من ذكرها و الثناء عليها، بل ويفضلها على سائر نسائه – على خلاف بين العلماء في ذلك –، يدل على ذلك ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء.. قالت: فغِرتُ يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكرها! حمراء الشِّدق، قد أبدلك الله عزَّ وجلَّ خيراً منها. قال: «ما أبدلني الله عزَّ وجلَّ خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عزَّ وجلَّ ولدها إذ حرمني أولاد النساء».(١)

ولذا فقد خصَّ الله عزَّ وجلَّ خديجة رضي الله عنها وأكرمها بتبشيرها على لسان رسول الله ﷺ ببيتٍ في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب، وهذه البشارة لخديجة تدلُّ على عظيم منزلتها ومزيد فضلها، وهل جزاءُ الإحسانِ إلاَّ الإحسان؟ كما اختصت بأنَّ الله سبحانه وتعالى أمر جبريل أن يقرأ عليها السلام من ربها – بواسطة النبي ﷺ – فأتى الروحُ الأمينُ إلى رسول الله ﷺ وقال له: «اقرأ عليها السلام من ربِّها ومني».

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٦/١١٧-١١٨)، والطبراني في الكبير (١٣/٢٣ رقم ٢١-٢٢)، والآجري في الشريعة (٥/٢١٩٣ رقم ١٦٨١). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٢٢٤)، وقال: رواه أحمد، وإسناده حسن.

يدل على ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريلُ النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتَتْ معها إناءٌ فيه إدامٌ أو طعامٌ أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربِّها ومني، وبَشِّرْها ببيتٍ في الجنة من قصبٍ لا صخبَ فيه ولا نصب[١].

وروى أنس رضي الله عنه قال: أتى جبريلُ عليه الصلاة والسلام إلى النبي ﷺ وعنده خديجة رضي الله عنها، فقال: إن الله يقرئ خديجة السلام. فقالت: إنَّ الله هو السلام، وعليك السلامُ ورحمة الله[٢].

قال ابن حجر معلقا على هذه الرواية: " قال العلماء: في هذه القصة دليلٌ على وفور فقهها؛ لأنها لم تقُل: وعليه السلام، كما وقع لبعض الصحابة، حيث كانوا يقولون في التشهد: السلام على الله، فنهاهم النبي ﷺ، وقال: «إن الله هو السلام، فقولوا: التحيات لله». فعرفت خديجة لصحة فهمها أنَّ الله لا يردُّ عليه السلام كما يردُّ على المخلوقين، لأنَّ السلام اسمٌ من أسماء الله، وهو أيضاً دعاءٌ بالسلامة، وكلاهما لا يصلح أن يرد به على الله، فكأنها قالت: «كيف أقول عليه السلام والسلام اسمه، ومنه يطلب، ومنه يحصل؟ فيُستفاد منه أنه لا يليق بالله إلا الثناء عليه، فجعلت مكان ردِّ السلام عليه الثناء عليه، ثم غايرت بين ما يليق بالله وما يليق بغيره. فقالت: وعلى جبريل السلام، ثم قالت: وعليك السلام».[٣]

ثانيا: إسهامات أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها:

هي سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ودّ القرشية العامرية، يقال: كنيتها أم الأسود. وكانت قبل النبي ﷺ تحت السكران بن عمرو، وكانت أول امرأة تزوّجها بعد خديجة[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٩/٨ رقم ٣٨٢٠)، ومسلم (١٨٨٧/٤ رقم ٢٤٣٢).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٩٤/٥ رقم ٨٣٥٩) و(٢٠١/٦ رقم ١٠٢٠٦)، والحاكم (١٨٦/٣)، وقال: صحيح على شرط مسلم، وسكت عنه الذهبي.

(٣) فتح الباري (٥٢٨/٨).

(٤) طبقات ابن سعد (٥٢/٨)، والإصابة (٣٣٨/٤).

وكانت رضي الله عنها من السابقات إلى الإسلام، فلقد أسلمت قديماً، وهاجرت الهجرتين إلى الحبشة هي وزوجها حفاظاً على دينهما من فتنة قريش، وحين عادت من الحبشة لم تلبث إلا قليلاً حتى توفي زوجها عنها، وتركها وحيدةً هي وأولادها، فتزوجها رسول الله ﷺ، وكان ذلك في العام العاشر من البعثة النبوية بمكة المكرمة بعد وفاة خديجة رضي الله عنها بقليل. (١)

ولعل الحكمة في زواج النبي ﷺ منها أنها بقيت وحيدة بعد وفاة زوجها السكران بن عمرو عند عودتهما من الحبشة، فخاف عليها النبي ﷺ أن تفتن في دينها، فتزوجها ﷺ وهي كبيرة في الخامس والخمسين من عمرها، غير ذات جمال ولا ثروة، فكان هذا الزواج مواساةً لها، وتكريماً لصبرها وجهادها.

وقد أسهمت سودة رضي الله عنها في سدّ بعض الفراغ الذي تركته خديجة رضي الله عنها بعد وفاتها، فهي التي كانت تؤازره وتواسيه، وتخفف عنه الآلام، وكانت مهمة سودة في هذه المرحلة من حياة رسول الله ﷺ صعبة، تحملت عبئها وحدها في السنوات الثلاث الأولى من زواجهما، ترعى شؤون النبي ﷺ وبيته وبناته، كي يتسنى له القيام بدعوته وهو مطمئن على بيته في كنف امرأة وقورة رزينة، فكان لها رضي الله عنها بصمتها في التسرية عن رسول ﷺ والتخفيف عنه. (٢)

وكانت رضي الله عنها زاهدةً في الدنيا، قانعةً بالقليل منها، متأسيةً في ذلك برسول الله ﷺ، ومن مآثرها المشهورة وإسهاماتها المؤثرة في المجتمع حبها للصدقة وعطفها على الفقراء والمساكين، بل تؤثر غيرها على نفسها من المال الذي كان يأتيها من العطاء – وهي أحوج ما تكون إليه –، فكانت تتصدق به وتفرقه على المحتاجين. (٣)

---

(١) نفس المصدرين السابقين.

(٢) أمهات المؤمنين– دراسة حديثية– (٦٦٦/٢)، رسالة دكتوراه للباحث عبد العزيز آل العبد اللطيف، الجامعة الإسلامية، نوقشت سنة ١٤٠٥ هـ، بإشراف أكرم ضياء العمري، و أمهات المؤمنين في السنة النبوية، للدكتور محمد سليمان الربيش (ص٢٠٣-٢٠٤).

(٣) طبقات ابن سعد (٥٦/٨)، والإصابة (٣٣٩/٤).

ومن المواقف الدعوية التي أسهمت فيها وتعدّ في صفحاتها المشرقة: تخليها عن حقها في المتعة الزوجية وهي طائعة مختارة،حيث صارحت الرسول ﷺ بأنها لا تريد منه ما يريده النساء من متعة؛ وذلك لكبر سنها، فوهبت يومها للسيدة عائشة رضي الله عنها حباً منها في بقائها بجوار الرسول ﷺ وفي عداد أمهات المؤمنين، يدل على ذلك ما رواه عبد الرحمن بن سابط قال:

وتذكر السيدة عائشة رضي الله عنها هذا الموقف النبيل لسودة رضي الله عنها فتقول: " ما رأيتُ امرأةً أُحبُّ أن أكون في مسلاخها[1] من سودة بنت زمعة من امرأةٍ فيها حِدَّة، قالت: فلما كَبُرتْ جعلت يومها من رسول الله ﷺ لعائشة. قالت: يا رسول الله، قد جعلتُ يومي منك لعائشة، فكان رسول الله ﷺ يقسم لعائشة يومين، يومَها ويومَ سودة " [2].

ثالثا: إسهامات أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها:

هي: هند بنت أبي أمية- واسمه سهيل زاد الركب- بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، القرشية، المخزومية، كُنِّيت بابنها سلمة بن أبي سلمة، وكانت قبل النبيِّ ﷺ عند أبي سلمة – واسمه: عبد الله بن عبد الأسد – ابن عمة الرسول ﷺ، وأخوه من الرضاعة' وهو ابن عمها رضي الله عنها[3]،وتزوَّجها النبيُّ ﷺ بعد أبي سلمة، وقد اختُلِفَ في تاريخ زواجِه بها، وجمهور العلماء على أنه تزوَّجها في سنة أربع للهجرة. [4]

توفيت رضي الله عنها – على قول الجمهور – سنة إحدى وستين بعد ما جاءها الخبر بقتل الحسين ابن علي رضي الله عنه[5].

---

(1) مسلاخها، المسلاخ: هو الجِلْد؛ تمنَّت عائشة أن تكون مثل هيئتها وطريقتها. تاج العروس ٢/٢٦٢.

(2) أخرجه مسلم (٢/١٠٨٥ رقم ١٤٦٣).

(3) طبقات ابن سعد (٨/٨٧)، وسير أعلام النبلاء (٢/٢٠٢).

(4) طبقات ابن سعد (٨/٨٧)، وتهذيب الأسماء واللغات، للنووي (٢/٣٦٢)، والإصابة، لابن حجر (٤/٤٥٨).

(5) انظر: الإصابة (٤/٤٦٥)، وشذرات الذهب، لابن العماد (١/٦٩).

ولأم سلمة وزوجها قصب السبق في الاستجابة للدعوة الإسلامية، فهما من المعدودين في السابقين الأولين إلى الإسلام، وهاجرا معاً إلى الحبشة في الهجرتين، وقد لاقا لأجل ذلك الشدائد والأهوال(١). وكان لها رضي الله عنها الأثر البين في دعم المجاهدين في غزوة أحد، وقيل: إنها أول امرأة خرجت مهاجرةً إلى الحبشة، وأول ظعينة دخلت المدينة(٢).

وإذا أردنا أن نعدد إسهامات أم سلمة رضي الله عنها ومواقفها الدعوية – وهي كثيرة ومتنوعة لا يسعها بحثنا هذا –، فإننا لا ننسى أبدا ذلك الموقف العظيم الذي سطره التاريخ بأروع الكلمات في حسن الرأي والتدبير والحكمة، والذي كان له أكبر الأثر في رأب الصدع والانشقاق الذي كاد أن يهلك فيه كثير من الصحابة في صلح الحديبية – وفيهم عمر ﷺ – لما اعترضوا على بنود الصلح وتوقفوا في تنفيذ أمر الرسول ﷺ – حين أمرهم بالحلق والنحر – فما كان من أم سلمة رضي الله عنها إلا أن أشارت عليه ﷺ أن يطبق ذلك عمليا؛ ليكون أدعى لاستجابتهم؛ لأن الفعل إذا انضم إلى القول كان أبلغ من القول المجرد، فكانت هذه المشورة سبب خير للمسلمين.

وتفاصيل هذه المشورة نجدها في حديث صلح الحديبية الطويل، وفيه : " فقال عمر بن الخطاب: فأتيتُ نبيَّ الله ﷺ فقلتُ: ألستَ نبيَّ الله حقاً؟ قال: «بلى». قلتُ: ألسنا على الحقِّ وعدوُّنا على الباطلِ؟ قال: «بلى». قلتُ: فلِمَ نُعطي الدَّنيَّةَ في ديننا إذاً؟ قال: «إني رسولُ الله، ولستُ أعصيه، وهو ناصري». قلتُ: أو ليسَ كنتَ تُحدِّثنا أنَّا سنأتي البيت فنطوفُ به؟ قال: «بلى»، فأخبرتُكَ أنَّا نأتيه العام؟. قال: قلتُ: لا. قال: «فإنَّكَ آتيه ومُطوِّفٌ به». قال: فأتيتُ أبا بكرٍ فقلتُ: يا أبا بكر، أليسَ هذا نبيَّ الله حقّاً؟ قال: بلى. قلتُ: ألسنا على الحقِّ وعدوُّنا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلِمَ نعطي الدَّنيَّة في ديننا إذاً؟ قال: أيُّها الرجل، إنَّه لرسولُ الله ﷺ، وليس يعصي ربَّه، وهو ناصِرُه، فاستمسكْ بغَرْزِه، فواللهِ إنَّه على الحقِّ. قلتُ: أليس كان يُحدِّثنا أنَّا سنأتي البيتَ ونطوفُ به؟ قال: بلى، فأخبرَكَ أنكَ تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنَّك آتيه ومُطوِّفٌ به. قال الزهريُّ: قال

(١) تاريخ الأمم والملوك، للطبري (٣/١٧٧)، والبداية والنهاية، لابن كثير (٤/٩٠).

(٢) الاستيعاب، لابن عبد البر (٤/٤٢١)، والإصابة، لابن حجر (٤/٤٥٩).

عمر: فعملتُ لذلك أعمالاً. قال: فلمَّا فرغ من قضية الكتاب قال رسولُ الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحَروا، ثمَّ احلِقوا». قال: فواللهِ ما قام منهم رجلٌ، حتى قال ذلك ثلاثَ مراتٍ، فلمَّا لم يَقُمْ منهم أحدٌ دخل على أمِّ سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبيَّ الله، أتُحبُّ ذلك، اخرُجْ، ثم لا تُكلِّمْ أحداً منهم كلمةً حتى تنحَرَ بُدْنَكَ، وتدعوَ حالِقَكَ فيحلِقَكَ، فخرج فلم يكلِّم أحداً منهم حتى فعل ذلك: نحَرَ بُدْنَه، ودعا حالقَه فحلقه، فلمَّا رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضُهم يحلِقُ بعضاً، حتى كاد بعضُهم يقتُلُ بعضاً غمّاً.. الحديث[1].

وذكر ابن حجر عدة احتمالات لتوقف الصحابة وامتناعهم من تنفيذ أمر الرسول ﷺ فقال: " كأنهم توقفوا لاحتمال أن يكون الأمر بذلك للندب، أو لرجاء نزول الوحي بإبطال الصلح المذكور، أو تخصيصه بالإذن بدخولهم مكة ذلك العام لإتمام نسكهم، وسوغ لهم ذلك؛ لأنه كان زمان وقوع النسخ. ويحتمل أن يكونوا ألهتهم صورة الحال، فاستغرقوا في الفكر لما لحقهم من الذل عند أنفسهم، مع ظهور قدرتهم واقتدارهم في اعتقادهم على بلوغ غرضهم وقضاء نسكهم بالقهر والغلبة، أو أخّروا الامتثال لاعتقادهم أن الأمر المطلق لا يقتضي الفور، ويحتمل مجموع هذه الأمور لمجموعهم".[2]

فدلَّت هذه المشورة على رجاحة عقل أم سلمة – رضي الله عنها – ووفور فقهها وحسن رأيها، حتى قال إمام الحرمين الجويني: " لا نعلم امرأةً أشارت برأيٍ فأصابت إلاَّ أمَّ سلمة " [3].

وفي هذا الموقف العظيم لأم سلمة – والذي أسهم في قضية جليلة من قضايا المسلمين – ردّ على من يهون من شأن المرأة، أو يزعم بتقليل شأنها في الإسلام، وفيه دليل على حضور المرأة ومشاركتها، فالنساء لم يكن مغيبات ولا مستبعدات عن أمور

---

(1) أخرجه البخاري (٥/٦٢١-٦٢٥ رقم ٢٧٣١-٢٧٣٢) مطولا، ومسلم (٣/١٤١١-١٤١٢ رقم ١٧٨٤ و١٧٨٥) مختصرا.

(2) فتح الباري (٦/٦٤٧_٦٤٨).

(3) فتح الباري (٦/٦٤٨).

الدعوة وشؤون الحياة، والنبي ﷺ لم يكن يستخف برأيهن، وأخذه صلى الله عليه و سلم بمشورة أم سلمة في أمر جسيم كهذا – وبين يديه ما يزيد عن ألف صحابي – لخير دليل وجواب على هذا الافتراء.

رابعا: إسهامات أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

هي: عائشة بنت الإمام الصدِّيق خليفةِ رسول الله ﷺ أبي بكر عبدِ الله بن أبي قُحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم ابن مرة بن كعب بن لؤي القرشية التميمية المكية النبوية أم المؤمنين، زوجة النبي ﷺ، فهي تجتمع مع الرسول ﷺ في جد أبيها السادس مرة بن كعب(١).

أسلمت عائشة رضي الله عنها وهي صغيرة، كما ذكر ابن إسحاق وابن هشام في السيرة حيث قالا: «وعائشة بنت أبي بكر وهي يومئذ صغيرة، أسلمت صغيرة بعد ثمانية عشر إنساناً أسلم»(٢).

توفيت رضي الله عنها – في قول أكثر العلماء – ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان سنة ثمانٍ وخمسين(٣).

نشأت عائشة رضي الله عنها وتربَّت في بيئةٍ مسلمةٍ مؤمنةٍ عريقةٍ بالإيمان، فأبوها وجدُّها صحابيان، وكذلك أمُّها وأخواتها، فأختها أسماء بنت أبي بكر، وابن أختها عبد الله بن الزبير.

وقد اكتسبت رضي الله عنها من بيئتها كلَّ ما فيها من النواحي الخلقية، فقد ورثت عنها حبَّ الله وحبَّ الرسول ﷺ، وورثت عنها الإسلام والإيمان والورع والتقوى والزهد والقناعة، إلى غير ذلك من الأخلاق الفاضلة، وتأثرت بأبيها تأثراً كبيراً في

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٣٥/٢، والإصابة ٣٤١/٢.

(٢) السير والمغازي لابن إسحاق ص ١٤٣، وسيرة ابن هشام ٢٩٦/١.

(٣) فتح الباري ١٠٧/٧، والإصابة ٣٦١/٤، والمعارف ص٥٩، وشرح المواهب اللدنية ٢٨١/٣، وطبقات ابن سعد ٨٠/٨، وجلاء الأفهام ص ١٣٤، والأربعين في مناقب أمهات المؤمنين ص ٤١.

أفعالــه وتــصرفاته وطباعه وأخلاقه، حتى إن الرسول ﷺ كان دائماً يقول عنها: «إنها ابنةُ أبي بكر»(١).

والمواقف الدعوية التي يمكن أن نستخلصها من حياة السيدة عائشة رضي الله عنها كثيرة ومتنوعة لا يستوعبها هذا البحث المختصر، لذا سأركز على حادثة عظيمة مرّت بهــا أم المؤمنــين وكان لها الأثر الكبير في حياة المسلمين، وكيف كان موقفها الشامخ وصــمودها الــثابت فــي هذه المحنة العصيبة، ألا وهي محنة قصة الإفك التي هزّت المسلمين جميعا.

وتعتبر حادثة الإفك من الحوادث الجِسام التي وقعت في عهد النبوة، وذلك لِتعلّقها ببيت النبوة، وبأم المؤمنين عائشة زوجِ رسولِ الله ﷺ وبنت أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، ويرجع السبب الحقيقي لهذه الحادثة إلى الحقد الشديد الذي استقرّ في نفوس الكفار والمنافقين واليهود بسبب علوِّ شأن الإسلام ودخول الناس فيه أفواجاً.

فقد عاشت المدينة وقتا عصيبا، وتكلفت نفوس ساكنيها عبئا ثقيلا نتيجة لهذا الحادث الأليم الذي جعل رسول الله ﷺ يعيش لحظات شديدة، وكذلك الصديق أبو بكر وبيته، وأم المؤمنين عائشة، ودام هذا الأمر بشدته شهراً كاملاً.

فأنزل الله سبحانه وتعالى في شأنها وحياً يتلى، يُبرِّئها مما رُميت به من الإفك، وهذه الآيات الكريمات من سورة النور من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾.. إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾(٢).

قال ابن كثير: «هذه العشر آياتٍ كلُّها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية

(١) عائشة أم المؤمنين – رسالة ماجستير – جواهر باسلوم، ص ٢٨ و ٥٠.

(٢) سورة النور: ١٠-٢١.

التي غار الله عزَّ وجلَّ لها ولنبيِّه صلوات الله وسلامه عليه، فأنزل الله تعالى: براءتها صيانةً لعرض رسول الله ﷺ، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٌ مِّنكُمۡ ...﴾ [النور: ١١] (١).

ومضمون حادثة الإفك التي تولى كِبْرَها عبد الله بن أُبي ابن سلول – زعيمُ المنافقين – أنَّ عائشة رضي الله عنها ذهبت لتقضي حاجتَها، فانسلَّ عقدٌ لها من عنقها وذلك عند الرجوع مع رسول الله ﷺ من غزوة بني المصطلق، فرجعت تلتمسُه فوجدَتْه، وتحرك الجيش بدونها ولا يدري بذلك أحدٌ، حيث حملوا هودَجها وهم يحسبون أنَّها فيه–لخفة وزنها–، وجلست عائشةُ مكانَها وهي تعتقد أنهم إن افتقَدوها عادوا إليها، ومرَّ بها صفوان بن المُعطِّل السُّلمي، وكان قد تأخَّر عن الجيش – لأسبابٍ سنذكرها قريباً – فحملَها على بعيره إلى المدينة، ورأى المنافقون ذلك، فوجدوها فرصةً سانحةً للنيل من طهارة الخُلُق وعفَّةِ النفس لدى المسلمين، فأشاعوا أنه قد وقع بين عائشة وصفوان أمرٌ عظيم، وانخدع بقولهم هذا نفرٌ قليلٌ جداً من المسلمين عن غير قصدٍ، مثل حسان بن ثابت، ومِسطَح بن أُثاثة. (٢)

وفي هذه الحادثة الأليمة يظهر بجلاء موقف السيدة عائشة رضي الله عنها، وهو موقف الواثقة المؤمنة بقدر الله حيث تقول: «إنَّ الله مُبرِّئي ببراءتي»، وقولها – وهي في أشدّ المحنة – : إنِّي والله لقد علمتُ: لقد سمعتُم هذا الحديث حتى استقرَّ في أنفسكم وصدَّقتم به، فلئِنْ قلتُ لكم إنِّي بريئةٌ.. لا تُصدِّقوني، ولئِنْ اعترفتُ لكم بأمرٍ – والله يعلمُ أنِّي منه بريئة – لَتُصدِّقُنِّي، فوالله لا أجدُ لي ولكم مثلاً إلاَّ أبا يوسف حين قال: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

فكان في صبرها الشديد على هذا البلاء، وتصرفها بحكمة بصورة عملية يراها المسلمون والمسلمات أسوةً وقدوةً حسنةً إذا وقعت لهم نظائرُ لحادثة الإفك.

---

(١)تفسير ابن كثير، تفسير سورة النور ٣/٢٦٨.

(٢)حديث الإفك أخرجه مطولا البخاري في كتاب المغازي (١٠/٣٨٦-٣٩٠ برقم ٤٧٥٠)، ومسلم في كتاب التوبة (٤/٢١٢٩-٢١٣٦ برقم ٢٧٧٠)، والنسائي في السنن الكبرى (٥/٢٩٥-٢٩٩ برقم ٨٨٨٢).

وفي إستئذانها من زوجها ﷺ لتلحق ببيت أبويها دليل على أصالة معدنها ورجحان عقلها، فلا تخرج من بيتها في أقصى الظروف بغير إذن زوجها.

ومــن مواقفها في هذه المحنة رضي الله عنها تواضعها الشديد في قولها: «ولَشأني أحقَرُ في نفسي».

ومــن مواقفها رضي الله عنها عفوِها وصفحِها وشدةِ إكرامِها لمن أكرمَه رسولُ اللهِ ﷺ، وقــد ظهر ذلك في موقفِها من حسَّانَ - وكان رضي الله عنه فيمن خاض في هذه الحادثة - وتكريمِها له.

وهــذه الحادثة مع شدتها جعل الله فيها دروساً وعبراً مفيدة للأفراد والأمة في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فقد كانت هذه الحادثة سببا في نزول هذه السورة الكريمة وما فــيها مــن أحكامٍ وتعاليمَ تحفظُ المجتمعَ من انتشارِ الرذائل، وتصونُه من الوقوع فيها، وتتداركُ ما قد يقعُ منها - إن وقع - قبلَ شيوعهِ وانتشارهِ.

وقد ذكر العلماء لهذه الحادثة أزيد من خمسين فائدة[(١)]، وإنما اقتصرت منها على موقف عائشة رضي الله عنها لتعلقه ببحثي، والغرض من التركيز عليه هو تأسي نساء المسلمين بهذا الموقف العظيم بما يشبهه مما قد تتعرض له المرأة المسلمة في حياتها، وما أكثره في أيامنا هذه.

ومن المواقف التي أسهمت بها عائشة رضي الله عنها وكان لها الأثر البين في إثراء التكافل الاجتماعي تلك الصور النادرة من الإيثار والبذل والسخاء والعطف على الفقراء والمساكين - رغم قلة الحال -، مع التواضع والزهد في الدنيا، مقتدية في ذلك بالنبي ﷺ مستحضرة لقوله ﷺ : «اتَّقوا النار ولو بشِقِّ تمرة»[(٢)].

ومن ذلك ما رواه عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: جاءتني مسكينةٌ تحمل ابنتين لها، فأطعمتُها ثلاث تمرات، فأعطَتْ كلَّ واحدةٍ منها تمرةً، ورفعت إلى فيها تمرةً لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها،، فشقَّت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما،

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١١٦/١٧-١١٨، وعمدة القاري بشرح البخاري ٢٣٥/١٣-٣٢٦، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٠/ ٤٣٠-٤٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ٢٣٥ رقم ١٤١٦)، ومسلم (٢/ ٧٠٤ رقم ١٠١٦).

فأعجبني شأنُها، فذكرتُ الذي صنعَتْ لرسول الله ﷺ، فقال: «إنَّ الله قد أوجبَ لها بها الجنة، أو أعتقَها بهما من النار»(١).

وقد استمر هذا العطاء والبذل من السيدة عائشة رضي الله عنها بعد وفاة النبي ﷺ، فقد أرسل إليها معاويةَ بن أبي سفيان بمئة ألف، فقسمَتْها حتى لم تترك منها شيئاً، فقالت بريرة: أنت صائمة، فهلاَّ ابتعتِ لنا بدرهمٍ لحماً، فقالتْ عائشة: «لو أني ذكرتُ لفعلتُ»(٢).

وأرسل إليها ابن الزبير بمالٍ في غرارتين يكون مئة ألف، فدعت بطبقٍ وهي يومئذ صـــائمة، فجعلت تقسم في الناس. قال: فلمَّا أمست قالت: يا جارية هاتي فطري. فقالت أم ذَرَّة: يـــا أم المؤمنين أما استطعتِ فيما أنفقتِ أن تشتري بدرهم لحماً تفطرين عليه؟ فقالت: لا تعنِّفيني، لو كنتِ أذكرتني لفعلتُ(٣).

وأخرج مالك في الموطأ: أنَّه بلغه عن عائشة زوج النبيِّ ﷺ أن مسكيناً سألها وهي صـــائمة، وليس في بيتها إلا رغيف، فقالت لمولاةٍ لها: أعطهِ إيَّاه. قالت: ففعلت. قالت: فلمَّا أمسينا أهدى لنا أهلُ بيتٍ أو إنسانٍ ما كان يُهدي لنا شاةً وكفنها، فدعتني عائشة أم المؤمنين فقالت: كلي من هذا، هذا خيرٌ من قرصك(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢٧/٤ رقم ٢٦٣٠) واللفظ له، والبخاري بنحوه (٢٣٥/٤ رقم ١٤١٨).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (١٣/٤) وسكت عنه، وفي إسناده ضعف؛ لضعف محمد بن يونس الكديمي – كما ذكر ابن حجر في التقريب (ص٤٤٩) –، وبقية رجاله ثقات.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٦٧/٨)، وأحمد في الزهد (ص٦٧)، وهنّاد في الزهد (١٧٥/٢ رقم ٦١٤)، وأبو نعيم في الحلية (٤٧/٢).

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ (٩٩٧/٢ رقم ٥) وهو من بلاغاته.

الخاتمة

الحمد لله الذي يسر لي إتمام هذا البحث والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وأزواجه الطاهرات، أما بعد:

فقد تناولت في هذا البحث جانبا من جوانب إسهامات بعض أمهات المؤمنين رضي الله عنهن في مسيرة الدعوة إلى الله عز وجل في العهد النبوي، وألقيت الضوء على بعض المواقف المتميزة لبعضهن، وأثر تلك المواقف في مجريات أحداث السيرة النبوية.

وقد تبين لي من خلال هذا البحث ما يلي:

١ــ مكانة أمهات المؤمنين ودورهن العظيم في الدعوة إلى الله عز وجل ، فقد كان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يثق برأيهن، ويستشيرهن في بعض شؤونه.

٢ــ حضور المرأة ومشاركتها في كثير من أحداث السيرة، فلم تكن مغيبة ولا مستبعدة عن أمور الدعوة وشؤون الحياة، كما يدعي أعداء الإسلام ومن تأثر بكتاباتهم.

٣ــ تاريخ الدعوة إلى الله حافل بالنماذج الدعوية الرائدة، مما يستوجب على المرأة المسلمة المعاصرة التعرّف على تلك النماذج والإفادة منها، لتكون لها نموذجا تستقي منه في عملها الدعوي.

٤ــ أن الدعوة إلى الله ليست محصورة في جانب دون غيره، بل هي متنوعة ومتعددة الجوانب، وكل مسلم ومسلمة مطالب بالإسهام في هذا الشأن، كل حسب طبيعته وطاقته وموقعه.

وفي نهاية هذا البحث أسأل المولى عزّ وجلّ أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به عامة المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المراجع

١– الألباني: محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف، الرياض، ط١ ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٢– الآلوسي: أبو الفضل شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية.

٣– البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح مع شرحه فتح الباري تحقيق محمد نظر الفاريابي، دار طيبة، الرياض، ط١ ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٤– البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى ، وفي ذيله الجوهر النقي لابن التركماني، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند حيدر آباد، الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ.

٥– الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة، المكتبة الإسلامية.

٦– ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وساعده ابنه محمد ط١ ١٣٩٨هـ، توزيع إدارات البحوث والإفتاء، الرياض.

٧– الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض، نسخة مصورة عن طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن، الهند، سنة ١٣٣٤هـ.

٨– ابن حجر: أحمد بن علي بن محمد العسقلاني.

الإصابة في تمييز الصحابة، مطبعة السعادة بمصر، تصوير دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨هـ.

فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق محمد نظر الفاريابي، دار طيبة، الرياض، ط١ ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

تقريب التهذيب، تحقيق عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ ١٤١٦هـ.

٩– الحلبي: نور الدين علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

١٠– ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد، المسند، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

١١- الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن، سنن الدارمي، طبع بعناية محمد أحمد دهمان، دار إحياء السنة النبوية، القاهرة، بدون تاريخ.

١٢- أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود مع معالم السنن للخطابي، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، دار الحديث بحمص، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

١٣- الذهبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد.

السيرة النبوية، تحقيق حسام الدين المقدسي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

العبر في خبر من غبر، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد مطبعة حكومة الكويت ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

تلخيص المستدرك بحاشية المستدرك للحاكم، مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن، الهند ١٣٣٤هـ، مطابع النصر الحديثة.

سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٤- الراغب الأصفهاني: أبي القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

١٥- الرافعي: أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، للفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

١٦- الزبيدي: أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزبيدي، تاج العروس، الطبعة الأولى، المطبعة الخيرية بمصر، سنة ١٣٠٦هـ.

١٧- الزرقاني: أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي، شرح المواهب اللدنية للقسطلاني، دار الطباعة الأميرية، مصر، ١٢٧٨هـ/١٨٦١م.

١٨- السخاوي: أبو الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، صححه عبد الله محمد الصديق، دار الأدب العربي للطباعة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.

١٩- ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع، المعروف بكاتب الواقدي، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت ١٩٧٨م.

٢٠- الصالحي: محمد بن يوسف الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي بالقاهرة، طبع عام ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٢١- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير.

تاريخ الأمم والملوك، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

جامع البيان في تفسير القرآن، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر. الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ. تصوير دار المعرفة.

٢٢- الطبري: محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري، السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، المطبعة العلمية بحلب، الطبعة الأولى ١٣٤٦هـ/١٩٢٢م.

٢٣- ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد الأندلسي ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مطبعة السعادة بمصر، تصوير دار صادر بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨هـ.

٢٤- عبد العزيز آل العبد اللطيف: أمهات المؤمنين- دراسة حديثية- ، رسالة دكتوراه للباحث عبد العزيز آل العبد اللطيف، الجامعة الإسلامية، نوقشت سنة ١٤٠٥ هـ، بإشراف أكرم ضياء العمري.

٢٥- عبد الله ناصح علوان: هذه الدعوة .. ما طبيعتها، سلسلة مدرسة الدعاة (رقم١)، دار السلام، القاهرة ط٢ ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٢٦- عبد المجيد الزنداني: المرأة وحقوقها السياسية في الإسلام، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ومؤسسة الريان، بيروت، ط ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٢٧- ابن عساكر: أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن هبة الله الدمشقي، الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين، ، تحقيق محمد مطيع الحافظ وغزوة بدير، دار الفكر، دمشق ط١ ١٤٠٦هـ.

٢٨- العطاوي: أحمد يعقوب، المرأة الداعية في العهد النبوي والعصر الحاضر، دراسة مقارنة، مكتبة الرشد، الرياض، ط١ ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٢٩- العظيم آبادي: أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.

٣٠- علي جريشة: مناهج الدعوة وأساليبها، دار الوفاء للطباعة، المنصورة ط١ ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

٣١- ابن العماد: أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٣٢- العيني: أبو محمود محمد بن أحمد بدر الدين، عمدة القارىء بشرح صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٣٣- الغزالي: محمد الغزالي، فقه السيرة، خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، دار الكتب الحديثة ومطبعة حسان، الطبعة السابعة ١٩٧٦م.

٣٤- الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث بمؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢ ١٤٠٧هـ/١٩٧٨م.

٣٥- ابن قتيبة: أبو عبد الله محمد بن مسلم الدينوري، المعارف، تحقيق د. ثروت عكاشة، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية.

٣٦- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

٣٧- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.

٣٨- ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٣٩- المباركفوري: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الأولى ١٣٤٣هـ.

٤٠- محمد أحمد الراشد: المنطلق (سلسلة كتب في الدعوة)، دارالمنطلق، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٤١- محمد سليمان الربيش: أمهات المؤمنين في السنة النبوية، ، دار ابن حزم، بيروت، ط١ ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٤٢- محمد سيدي بن الحبيب: الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم، دار الوفاء، جدّة، السعودية، ط٢ ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٤٣- مسلم: أبو الحجاج مسلم بن الحجاج النيسابوري، الجامع الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، استامبول، تركيا ١٣٧٤هـ .

٤٤- ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، لسان العرب، دار صادر - بيروت.

٤٥- النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، سنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي وحاشية السندي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٤٢هـ/١٩٣٠م.

٤٦- النووي: أبو زكريا يحي بن شرف الدين.

المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار الفكر، بيروت ط١ ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

تهذيب الأسماء واللغات ، نشر إدارة الطباعة المنيرية.

٤٧- ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري، السيرة النبوية، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض.